

920
H

حياة الاخوين

الخو راسقف

الابائي

بطرس حبيقة

النائب البطريركي
والوكيل الاسقفي

يوسف حبيقة

الراهب الماروني
اللبناني

وما أثرهما وآثارهما

بقلم

خبير مختص

آثار ومآثر

الارباني يوسف عبيق

الراهب الماروني اللبناني

رئيس معاملة المتن

•

الاديب الكنسي

•

حامل وسام :

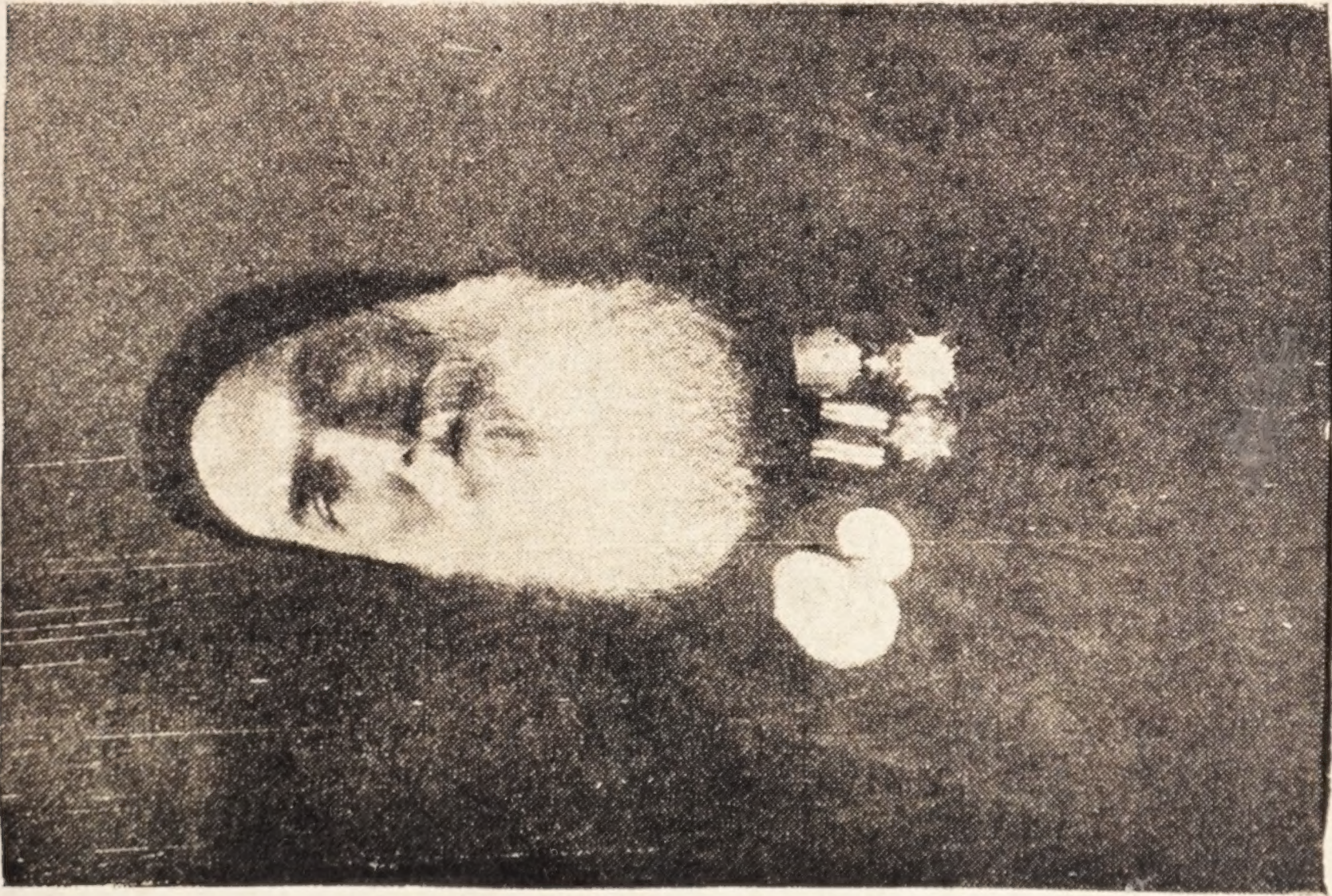
محامي الكنيسة والبابا

محامي القديس بطرس

ومدالية :

المؤتمر المريمي في رومية ١٩٠٤

البابا بيوس العاشر



الطبيب الذكر والاثر
الابائي يوسف حيقه
الراهب الماروني الشامي
رئيس معاملة المتن

وخلصا كقولك: ايها، وخلصا صا،
خلصا كقولك

Ex Libris
Beth Aardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

صا ايها وخلصا له لخلصا صا مع صا ايها
ايها فخلصا صا مع صا ايها وخلصا صا
خلصا مع صا فخلصا صا وخلصا صا
خلصا له صا ايها وخلصا صا
خلصا صا وخلصا صا

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

نشر ما انطوى

في السنة ١٩٤٦ وضع الخوري بطرس سليم حبيقة — نقلاً عن اوراق خاله الاب يوسف حبيقة ترجمة مختصرة لهذا الراهب العالم المدقق . فرائدا ان نوجز تلك السيرة النفيسة ونطبعها في مجلد واحد مع سيرة شقيقه اخو اسقف بطرس حبيقة جمعاً لما اثر الشقيقين اللذين وضع كل منهما ثأ ليف كثيرة عددها المستشرقون والادبا. الكنديون كنوزاً نفيسة ، وتأزرا في وضع وترجمة كثير من المؤلفات المهمة ، وكانت حياة كل منهما مليئة بالاجتهاد النافع . فها هي حياة الابائي يوسف (عيد سلمان) حبيقة الراهب الماروني اللبناني ، رئيس معاملة المتن الى جانب حياة اخيه اخو اسقف حبيقة .

رحمه الله واطال في عمر شقيقه لمنفعة الدين والادب والاجتماع .

مقدمة صغيرة كبيرة

للاستاذ عبدالله غانم

في زاوية ضيقة ، من زوايا مدرسة مار يوسف « انطوش » الرهبان البلديين في بسكتنا ، لفظ الاب يوسف حقيقه الراهب الزاهد المجاهد آخر انفاسه ، ولف بعباءته ، ودفن في مقبرة اخوته الزاهدين — وانتهى الامر !

لكن الامر لم ينته — فلرجل حياة غريبة — بفقرها وزهداها ، وتعهدا وجهدها — واذ تمكن النسيان من ان يغمرها ، فانه لن يغمر نتائجها التي تستحق البحث والتحليل .

ونحن — اذا قدمنا بهذه الكلمة عن صاحب تلك الحياة — فلنا نكتب عن ميت لارضاء حي ، بل نكتب عن اديب مجتهد خيل اليه ، ان تعبته ينفع غيره ، فاشتغل بثبات لمنفعة ذلك الغير ، وريخ لنفسه فضيلة الصبر .

صبر اولا على المطالعة والاستيعاب حتى تكونت عنده ، « الحميرة الصالحة لان يتخمر بها العجين كله » ، وصبر ثانياً على وضع كثير من المؤلفات الكنسية — في التاريخ والادب والطقوس — منها الكبير ومنها الصغير — وفي اكثرها فتح ابواباً جديدة لم يصل الى فتحها الباحثون من العلماء الكنسيين المحدثين — فيما يختص بالشؤون المارونية الطقسية ، وسد ابواباً فتحها بعضهم مخطئين . وغارفاً مؤلفاته الغريبة المأدة من بحر اللغة السريانية التي درس قراءتها على غيره — كما يدرسها غيره ، فيبرفون في تأملاتهم وصلواتهم بما لا يعرفون — ودرس معانيها على عينيه الساهرتين طيلة نهاره وليله — مطمئنا الى ان تعبته في سبيلها ستكون منه المنفعة المرجوة لمن يعينهم الامر . وقد ساعده تضلعه منها على نبش ما لم ينبش من

دقائقها — حتى اصبح مرجعاً في البحوث المتعلقة بها . وربا اغنى العلماء الكنسيين ، او كان على الاقل دليلهم الى نبش كنوز هذه اللغة الغنية ، لا بالطقوس المارونية وحدها ، بل بالفكر — والفكر ابن هذا الشرق !

ع.غ.

تخصية المترجم

وجه ترسم عليه معالم النجب والهيبة ، عينان يشعشع فيهما الذكاء ، لحية بيضاء مبسوطة ترمز الى طهارة القلب ، ثم لا ينطق الا بالكلمة المثقفة المتقاة ، يدان ككفتي ميزان — واحدة تجمع والاخرى تبذل — والجمع والبذل عندهما متوازيان ، دماغ ناضج مفكر مبتكر ، اديب كنسي من الطراز الممدود — قلم ينبش الدفين ويججي الرميم — ثم رجل له في الرهبانية اللبنانية المارونية احدثة طبية وذكر ثمين — هذا هو : الاباتي يوسف حقيقه .

الراهب اللبناني الماروني — صاحب النكتة الشهية ، والجمعة الموفقة والراي المعقول . الصبور في الازمات ، الصلب في اعتقاده ، الطري الناعم باخلاقه ، الحكيم في معالجة الشؤون الموكولة اليه . الراهب الحقيقي بالزهد والفقر والبساطة . صاحب الرأس المسلائن والجيب الفارغة . ابن بسكتنا بلدة العبقريّة والنبوغ .

من هو ...؟

هو يوسف بن عيد سلمان حقيقه تقطعت عيناه في ٧ شباط من السنة ١٨٧٨ ، ونصره في ١٩ منه الاب يوسف الفغالي الراهب اللبناني وكيل مدرسة مار يوسف بسكتنا ، وكان عرابه الطبيب الاثر نخلة بطرس حرب من وجوه بسكتنا وعرايته الأميرة شمس علي قايد بيه ابي الملع ، من بيت مري قرينة الأمير سلطان طرودي باللمع من بسكتنا .

تويع في بيت أبيه على التقوى والعمل وحسب المسبحة بالخصوص .
التلميذ والعامل : نذكره أبوه لماري افرام السرياني فتتق نذره فيه .
 في مدرسة الرهبان اللبنانيين : مار يوسف بسكنتا تلقن باكورة معارفه ،
 وعُرس في صدره بزرة الحياة النسيكية .

وفي مدرسة سيدة بسكنتا تابع دروسه الابتدائية من قراءة وخط وحساب
 بالعربية ، وتعرف الى اللغة السريانية التي صار فيما بعد من اقطابها البارزين —
 وتفق في عهده الاول بالدرس والتقوى — واكتفى أبواه بتعليمه . فبما تعلمه كان
 قد أصبح قادراً على أن يسد حاجة جيله ، كخدمة والده في المكاتبات الاهلية ،
 والقيود المصلحية ، ومساعدة الكاهن في الصلاة المسائية باللغة السريانية وخدمة
 القداس وقراءة سير القديسين بالخط الكروشوني ... وهذا ما كان يتعلم الحظوظون
 من أبناء القرى اللبنانية وحسب .

وبما عرف به المترجم ، في مطلع شبابه ، انه كان يواظب على سماع القداس
 في كنيسة القديس يوسف بسكنتا على عهد وكالة المرحوم نعمة الله موسى
 ابي ناخر الشهير (١٨٩٧) فاستفاد علماً من معاشرته وتجسست في قلبه الفضيلة ،
 وبالجملة فانه كان يقضي نهاره بالعمل — مع والده ، في اشغال الحياة وجناحي
 نهاره بالصلاة ...

المبصرى

كان المترجم ، بفضل تربيته البيتية وتوجيهه المدرسي يحن الى التزهيد حيناً
 غير منقطع ، حتى سمح أبواه بادخاله في سلك مبتدئي الرهبانية اللبنانية وهو بعد
 السادسة عشرة من العمر — شاب كثير الخبرة ، عارف مصيره وما يترتب على
 ذلك المصير من الصبر والجهاد . — فترك بيتسه واصدقائه وآله في اواخر
 آذار ١٨٩٣ الى دير مار موسى الدوار أحد اديرة الرهبان اللبنانيين في المتن ،
 الواقع فوق نبع العرعار الشهير بين بعدات وضهور الشوير — وكان يضم ستين

مبتدئاً غيره . — صار هذا على عهد الطبيب الذكر العلامة الاب مبارك سلامه
 المتيني الرئيس العام آنذ على الرهبانية اللبنانية (١٥ نيسان ١٨٥٢ + ٨ ايلول
 ١٩٢١) ، وعلى عهد رئاسة الاب ايجاد يوس الناكوزي المتيني على الدير المذكور
 الذي تولى عدة رئاسات وصار مديراً ثانياً سنة ١٨٩٩ . — ونال المترجم حظوة —
 في عيني رئيس الدير الذي احبه حتى وفاته ، وكرامته في عيون آباء الدير
 وجمهوره ، وما لبث أن توشح بثوب الابتداء في ٦ نيسان من السنة ١٨٩٣ مجاً
 باسمه في العهاد « يوسف » . ولم تحف على الرئيس نباهته ولم يحف عليه تفوقه ،
 فوكل اليه تدريس وشرح التعليم المسيحي لفئة من المبتدئين .
 والقاعدة في الرهبانية هي : ألا يبرز المبتدئ ، ندوره الاحتفالية قبل ان
 يجرب ستين . أما المترجم فقد ابرز ندوره بعد نحو سنة ونصف من طور تجربته ،
 ولبس الاسكيم اللائكي في قداس جبري اقامة الرئيس العام الاب مبارك المتيني
 في كنيسة الدير المذكور ١٢ ايلول ١٨٩٤ .

الراهب التلميذ

لا غرابة في أن يقع اختيار الرؤساء على الأخ يوسف حقيقه ليكون في عداد
 الدارسين فذكاؤه ونباهته كانا يبيانه الى التقدم المستمر . وعلى هذا فقد ارساه
 قدس الاب العام المذكور الى مدرسة دير مار قريبانوس (كفيفان) للتمرس في
 العلوم ، فاكب على درس الصرف والنحو والانشاء في اللغتين السريانية والعربية ،
 وحصل شيئاً من اللغة الفرانساوية في ستين — ثم درس على نفسه سنة واحدة ،
 وكان جل اهتمامه منحصراً في التعمق بالسريانية : لغة الموارنة الطقسية — فقد
 رأى انه في حقلها الادبي كنوزاً لا يستهان بها . — ودخل المدرسة اللبنانية في
 قرنة شهران (١٨٩٧ — ١٨٩٨) فأخذ العلوم البيانية واللاهوتية ، وكان بين
 اقرانه من الاولين وكانت علاماته تستحق الاعجاب .

وقد أثاثته دروسه ومطالعاته الشخصية الى وضع مؤلفاته الكثيرة المشهورة .
 ونشأ نفسه في اللغة السريانية شاعراً وكاتباً . له فيها ديوان شعر .

(٣) وكالة مدرسة المروج - وفي ١٥ تشرين الثاني من السنة المذكورة (١٩٠١) تعين وكيلا لمدرسة مار تقيلا في المروج لكنه لم يرض لاسباب معتبرة عرضها لقدس الاب العام انطونيوس المشمشاني (٥ آذار ١٩٠٢) فمن تلك الاسباب رغبته آنذاك في التأليف والدرس والتنقيب مما يتنافى مع التوظيف والمشاكل الادارية.

* *

(٤) وكالة مدرسة مار يوسف بسكنتا - (١٩٠٥ - ١٩١٠) - عهد اليه الرئيس العام الاب يوسف رفول الاجبي الشهير بوكالة مدرسة مار يوسف بسكنتا فلم يحاول ان يتخلص من مهنته الجديدة رغبة منه في اصلاح شؤونها. وجاء بسكنتا فوجد بناية المدرسة متداعية الى الخراب. فراح امرها وفكر في ترميمها على طراز يليق، وشمر عن ساعد الجد مستعينا بالله. وعمل على ستة آلاف غرش تركه للمدرسة المرحوم الاب برتردوس ذو البسكنتاوي (+ ٤ اذار ١٩٠٦) وبمساعدة بعض اصدقائه من الرهبان وفريق من المتمردين البسكنتاويين، وبما استطاع كسبه وتوفيره من موارده الخاص ومن دريجات الرعية والوقف، بنى المدرسة طابقين اثنين بهندسة لا بأس بها، وسقفها بالقرميد، ورتب الطابق الاول وجيزه بالآنية والاثاث، وكبر باب الكنيسة ونوافذها، ووسع ساحتها الشمالية. واعتنى برعيته. فعاد مرضاها وسهر على مدينتها، وبذر السلام بين الناس، فازال خصاما قويا كان قائما بين بعض اقاربه، وفريق آخر من ابناء الرعية بسبب المداخن. وكان الجميع متعلقين به معجبين بعدم تحيزه الى فريق على فريق - وجدد جمعية مار منصور دي بول الخيرية التي خفت ثقلا من عواقب المحتاجين. وترك هذه المدرسة ليتأخر على دير مار مخايل بنايل كما سيأتي. (نيسان ١٩١٠).

* *

(٥) وكالته ثانية على مدرسة مار يوسف بسكنتا (١٩٢٤ - ١٩٢٨) - وفي ١٠ كانون الاول سنة ١٩٢٤ تعين وكيلا للمدرسة المذكورة، فوفى ديونها،

الموظف

اقنومية مار موسى الدوار - وكالة انطوش زحلة - وكالة مدرسة المروج - وكالة مدرسة مار يوسف بسكنتا ثلاث مرات - رئاسة دير مار ميخائيل - رئاسة دير مار انطونيوس النبع بيت شباب - رئاسة دير مار موسى الدوار - رئاسة المعاملة.

* *

(١) اقنومية مار موسى الدوار - عين الاب المترجم في سنة ١٨٩٩ اقنوما (قيما) لهذا الدير فكان ساعدا قويا وفيما لرئيسه المرحوم الاب ابراهيم الخلسه (+ ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٠) في القيام بمصالح الدير مع المواظبة على حفظ القانون.

* *

(٢) وكالة انطوش زحلة - وفي ٧ كانون الثاني ١٩٠١ كتب للمترجم قدس الاب العام يوسف السريع (+ ١٩٠٤) ما خلاصته: «لما كنا نعتقد بانكم ممن تزينوا بالعلم والادب وحسن السلوك والغيرة على خلاص النفوس لقد عيناكم وكيلا لانطوش مار انطونيوس في زحلة...» فحضر الاب حقيقه الى الانطوش المذكور - وكانت الرعية شطرين متنازعين، فلقته كلها، مع كرام المدينة بالتهلة والثراب. وفي شهر واحد تمكن من ازالة سوء التفاهم، واحلال السلام والالفة بين المتنازعين من ابناء الرعية، مجددا لهم جمعية طوبى البار التي لمت شعهم، ووربطهم ووحدهم. وبعد ان استتب الهدوء في الرعية استقال لعمل آخر انتدب اليه، فأسف الناس هناك لما كانوا يعاقونه على نبيل خلقه وعنايته الفياضة من آمال - بعد ما رأوا من همته في اصلاح شؤون تلك الرعية المضطربة.

* *

وحاول الانشاء . فانجز الطبقة الثانية من المدرسة وجعلها بالاثاث ، واستعدى أكف المغربيين البسكتاويين باسم الاخويات فعمل مذبح سيده يومباي ومذبح اخوية المتيسة الصالحة رخاماً مذهباً ، ووسع باب الكنيسة الغربي والشاكين الذين على جانبه .

وظل مهتماً بالانطوش المذكور ، بعد ان تركه ، فابتاع له طلقاً من المقاعد ، وساعد وكيهه الاب بولس العوشي على تحسينه وانشاء بعض كليات فيه كالشرفتين الشرقية والغربية يبلغ معتبر من المال .

وعملت مقاعد الكنيسة غال ارسله له احد انسيائه وبمساعدة الرعية . وابتاع للكنيسة كتاب قداس مذهباً مع قاعدته المذهبة ، وصليب يد من فضة ، وبعض اوان للخدمة الداخلية فيها .

وتولى في ١٦ شباط ١٩٢٦ ، فوق خدمة الرعية والقيام بادارة الانطوش ، بتفويض خاص من قدس الاب العام اغناطيوس التتوري سماح اعتراضات راهبات دير مار ساسين — « كمرشد » غير اعتيادي « لهن » — بتاريخ ٨ تموز ١٩٢٧ .

* *

(٦) وكالته الثالثة على مدوسة مار يوسف بسكتا منذ سنة ١٩٣٨ — وبناء على رغبة ، بعد ان انخرفت صحة بسبب مرض ألم به عينه الاباقي باسيل غانم الرئيس العام السابق وكيلا على الانطوش المذكور في شباط من السنة ١٩٣٨ . فدأب في اصلاح والتعمير ، وقام بواجبه الثقيل في خدمة رعية القديس يوسف ، وظل مشابراً على الدرس والتتقيب والتأليف رغمًا عن المرض العضال الذي ألم به فأحتل آلامه بصبر نادر .

واكمل تبليط الكنيسة اي نصفها الغربي وعمل خزانة للمياه شمالي الكنيسة الغربي . واصلاح حارة عودة المدرسة . ونقب في حفلة المدرسة في قناة باكيش وشرى اثاث واواني لداخل المدرسة .

* *

(٧) وثانسة دير مار ميخائيل بناييل (١٩١٠ - ١٩١٣) — في اوائيل نيسان ١٩١٠ تعين رئيساً لدير مار ميخائيل بناييل ، فأداره بصدق وحزم معاملاً كلاً من افراد جمهوره ، شياً وشباناً ، بما يناسبه روحياً وزمناً ، ساهراً على القانون ، وصلوات الخورس والتأملات الروحية .

وكان تقليد الرهبانية من أمد بعيد أن يعين رئيساً لهذا الدير أحد الآباء المتينين لوقوعه بخراج المتين . فأحدث تغيير العادة شيئاً من الامتناع . ولكن المترجم تمكن ، بدمائة اخلاقه ، ومعاملته الحسنة للشيوخ والضعفاء خاصة ، من أن يجذب القلوب اليه ، فأحبه جمهور الدير وفضلوه ...

واحدث هناك نظاماً : ان طلب من الآباء في الدير التقديس على دفتر الدير واعداء بان يقدم لهم كل حاجياتهم قائلاً : « اذا أخلفت بوعدى معكم فأخلفوا انتم بوعودكم معي . » وكان كل كاهن قبل هذا التنظيم يقدر على دفتره الخاص ، ولقد لفت انظار الرئاسة العامة الى هذا الامر فعمسته في الرهبانية جمعا .

وقام المترجم بوعد فحسّن المعيشة في الدير ، وعلى المائدة العمومية ، وتقانى في خدمة المرضى — اذ كان يجدهم احياناً كثيرة بنفسه ، ويقم للعاجز منهم خادماً مخصصاً . — وجدد بناء حارة الشريك مئذني الكفوري ، وجرت المساء بقساطل الى مسافة قريبة .

وعاد دير بناييل وهو غني بالمؤونة من حنطة وشعير ، وبالطروش من بقر ومغزى . وترك له في خزانته بعض المال .

* *

(٨) وثانسة دير مار انطونيوس النبع بيت شباب . وانتقي المترجم لمبة شائعة في ٢٤ ايلول سنة ١٩١٣ هي : رئاسة دير مار انطونيوس النبع بيت شباب فوضي عن قلب بان يقوم بادارة الدير الشاقة متكللاً على العناية الالهية . واستلم وظيفته الجديدة خلال تشرين الاول من السنة المذكورة .

كانت الشهور الاولى لرئاسته دراسية تنظيمية . وما أن مرّ عيد الفصح سنة

وساعد دير بسكتنا بقطار خنطة . ودير بحر صاف بـ ١٢٥٠ رطلا — ودير مار مارون القنيطرة بـ ٥٠٠ رطلا والدير الام لراهبات القلبيين الاقدسين في بكفيا بـ ٤٤٠ رطل طحين .

وساعد ايضاً عن يد الشيخ اسعد خليل طوبيا بمبلغ الف غرش التلميذ الاكليريكي كميل يوسف فارس القاري غصوب لما كان يرجى منه من الخير في ما اذا ثبت في دعوته . وعال في ابان شدة الحرب مدة شهرين المرحوم الخوري نعمة الله الحايك واسكنه تلك المدة مدبرة الدير .

واحسن الى بعض الجماعات والافراد ، ووزع الخبز والطعام على الجياع ، وما رد أحداً منهم نجية . وبعض هذه الاعمال مدونة بالتفصيل في سجلات الدير . وقد أحصى المرحوم الاب انطونيوس الزوقي ، بخط يده ، عدد الفقراء الذين وزع عليهم الخبز ، في دير النبع ، في أشد سني المجاعة ، اي من ١٨ كانون الاول ١٩١٥ الى ٧ نيسان ١٩١٦ ، فاذا به ١٢٨ فقيراً — اساءتهم مدونة واحداً واحداً في سجل مخصوص . — وقد وزعت الخنطة والدقيق والخبز على المحتاجين . بتخصيصه لهم يومين في الاسبوع علاوة على التوزيع العمومي — فكان التوزيع متواصلاً طيلة الحرب — والبركة كما قلنا — بين يدي الرئيس . حتى انه جده واحدة اعطاهم ٢٥٠ رطلا من الخنطة وكان الرطل آ نئذ يساوي اكثر من مائة غرش ذهب فتأمل .

ورغمًا عن حسنات هذا الرجل في ايام كان الاخ فيها يتناسى اخاه ، فتناسى بعضهم هذا المحسن واحسانه ، وكان يعطي على مدة احدى عيال بيوتهم بعلم الاب العام كل اسبوع ليورة عثمانية ، فقد اضطهد ، واهين . ولم يمنع ذلك عن اعماله الانسانية مانع على الاطلاق ،

أ — صور بعضهم (لعلني منيف) بك متصرف لبنان التركي آنذاك بأن دير النبع يصلح — لغناه ، « لاستغناء الرهبانية عنه ، مأوى للرضى والعاجزين . — على أنه بالحقيقة كان مأوى . فجاء المتصرف بجاشيته ، وفتحت أمامه غرف المرضى

١٩١٤ حتى رأينا الاب حيقه يجرّد ساعديه للتمير . وكان سلفه الاب يوسف الشباينة قد سلمه مبلغ ٨٠ ليورة عثمانية ذهباً متروكة عن الاب الياس بين الشبايني ، فجعلها نواة لعمله الكبير . وباشر بتجديد ما كان قد بني للجهة الغربية على غير مقتضيات الفن والصحة ، وعمل « الخرجة » القبلية فجاء البناء هندسياً فنياً في اربع عشرة غرفة ومشى فسيح « وشققات » جميلة . وجعل الطابق الاسفل من الخرجة « مأزولاً » ومحلاً للاستقبال ، وللمقامة المرضى وخدمتهم بعض الأحيان . فسكن الرهبان في هذا البناء الجديد المتم .

وعني ايضاً ببناء معبد في « التوتيه » (الحجر الأطرش) حيث اراضي الدير الزراعية الكثيرة ، وجعل له طابقاً سفلياً تودع فيه الخنطة وسائر غلال الأرض . وعمل مديحاً رخاماً مذهباً لكنيسة الرعية ، كلف نحو ١٠٠ الف غرش مصري ونُبتش ماء يجرز في محقن انشاء غربي حارة الدير على طريق مار بطرس ككرم التين وكانت البركة في يده ، فقد بلغ ما انفق على هذه الأعمال حتى شهر تشرين الثاني ١٩١٤ تسعين الف غرش ذهب .

وصادفت في ايام رئاسته سنو الحرب العالمية الطاحنة (١٩١٤ - ١٩١٨) الجراد نذيرها فالتهم كل أخضر فلم تعط اراضي الدير الا بذارها وازيادة تافهة في تلك السنة فاحتاط الرئيس الامر وسبق لايتباع المؤونة خنطة من رباق بأسعار واطنة ، وزرع اكثر اراضي الدير في بيت شباب والعطشانة والتوتيه فاعطت غلالاً وافرة اعانته على ترميم رهبانه واطعام الفقراء ، والقيام بالأعمال التعميرية . وكان دير مار انطونيوس النبع طيلة سنوات الحرب منبعاً للخيرات والبركات ، ومطعماً للجياع ومأوى لموضى الرهبان — وكان شأن الاب المترجم فيه شأن من يسبق الداء بالدواء . فصرع المصيبة قبل ان تصل اليه . وعالج مصايب غيره ايضاً فوزع في اول سنة من الحرب سبعة قناطير خنطة على الفقراء . ثم ساعد الجمعية التي انشئت في البلدة بيت شباب لاغاثة الفقير بمبلغ ١٢٣٥ قدم لقاءها قداسات على نية سيادة مطران الابريشية وقبضت الجمعية حنتها من سيادته .

والعجز من الرهبان وهم الالباء اقليسوس الشباني واغوستين القعقوري وبسليم
السكرتاري. والاخ ارسانيوس ابو حلقة من مزرعة يتوسع وهم ايضا ناس -
فرد كيد الواشين اذ قال : « أفطرده هؤلاء لنضع مكانهم اولئك ؟ وهؤلاء ايضا
من الناس » .

ب - ورئيس عام الرهبانية نثسها طلب من دير النبع لغناه بفضل ادارة
وتدبير رئيسه ان يبيع من أملاكه مطحنة له في زحالة ليستوفي من ثمنها ديناً له
على دير مار مخايل بحمصاف . لكن الرئيس المترجم اعترض على بيع هذا
« المغلق » . وصمد أمام الزيارة الرسولية وباقي من ذكر صموداً قوياً مبرهنناً امام
هيأتها الكاملة وامام مجمع المديرين الكامل والوكيل العام وامين اسرار الرئاسة
العامه على عدم موافقة بيع هذه المطحنة لانه يحرم الدير ثلث مدخوله وهو الوحيد
في اديار المتن في الوسط يلجأ اليه بعض الرهبان غير الاصحاء ايام البرد القارس .
برهن كل ذلك وهو يعلم بانه سيتضرر اديباً اذ يستجلب موجودة الاب العالم عليه
كما جرى فعلاً فتقرر بعد سماع حجته ان الحق بيده .

ج - وبصدد حادث سينته رغبة الاستئثار بالمنفعة كتب المطران اوغسطين
البستاني (كان اذ ذاك رئيساً عاماً على الرهبان الحليين) للمسنور حبيبه شقيق
المترجم رسالتين تقطف فقرة من احدهما : « ان ذلك الحادث المؤلم قد جرح قلبنا
لانه فضلاً عما أظهره المعتدي من اللؤم والكنود فقد تطاول بوقاحة على شخص
تعدّه الرهبانية بعدل وصواب من أرسخ انبائها اديباً وغيرة وصلاًحاً » .

د - في احدى سني الحرب انتشر داء الجدري في بلدة بيت شباب فتقدم
الشيخ اسعد طويبا شيخ صلح البلدة الى الرئيس الاب حبيبه بطلب هو ان تحلى
حارة الدير السقي في الزيتونة لايواء المجدورين متكفلاً مع رئيس البلدية بكل
عطل وضرر . فلبى الرئيس الطلب رحمة بالمرضى ، وأسكن المجدورين في الحارة ،
المذكورة فنجت البلدة وخربت الحارة لتلوئها بالجرثومة الوبيلة ، واخلف
الواعدون بالعهد .

الخلاصة : انقضت سنو الحرب ، ولم يفرق الدير بالديون - رغمًا عن كونه
لم يكن لنفسه بل لجميع الناس الذين حولته - لسهر المترجم على مصالحه ، وسعيه
في تنمية محاصيله فكان فيه عمرانياً زراعياً من الطبقة الاولى ولا يخفى ما تقتضيه
هذه الاعمال من جهود .

وصار في نيسان ١٩٢٢ تغيير المديرين واكثر رؤساء الاديار ومن جملتهم
الاب المترجم فكتب اليه الاب العام هذه الرسالة الثمينة :

« ايها الابن الحبيب ! لا تعلم انك تلميذ المسيح . وعلى التلميذ ان يكون
مثل معلمه . لم يسبح في بحار من العذابات والقنال والقييل بحق اعمالك بحق الدير
كانت ظاهرة عند الله وهو يجازيك . ونحن كنا نعرفها بعض المعرفة ولهذا اثبتنا
عليك ولن تزال نطلب من الله لك الاجر ... ولم يغرب عن فكركنا كيف كان
موقفك حرجاً والله خلصك سالماً ، وهذا يكفيك . فانظر الى ما فوق واقتد بن
سلفك من الالباء الورعين . كن براحة بال ، ومن خدمته صاحب القام هو معك .
خذ الرب نصيبك وكن فرحاً ومهما لزمك اطلبه منا لاننا نحبك باحشاء المسيح
ونرغب لك كل فلاح ، ونحافظ عليك محافضة دونها محافضة الام على ولدها ... »

اغناطيوس التنوري

اب عام لبناني

(رئاسة دير مار موسى الدوار) اذار ١٩٢٨ ت ١٩٣٩ . وتعين
الاب المترجم في اوائل اذار ١٩٢٨ رئيساً على دير مار موسى الدوار فاداره
بحكمة الجرب الخير حتى اوائل تشرين الثاني ١٩٢٩ . وبتوقيفه تعالى اقبلت
مواسم الدير فتمكن من وفاء نيّف وستين الفاً من اصل الديون التي عليه . وجرت
اليه الماء من مشروع النبوخ . وجدد عمارة الشريك خطار سمعان ، واشتغل
الارض في الزعرور ، وزاد عدد المعزى ، وكفل معيشة الرهبان ، وسهل الطرق
المعاشية لمن خلفه فاستحق « لقب الراهب العمراني الحكيم » . وصدقت فيه كلمة
احد الذين كتبوا اليه :

غبطة العلامة المفضال أمير الكنيسة المارونية : البطريرك انطون عريضة فأنعم على الأب المترجم ، في ١٦ نيسان ١٩٣٨ بأن يستعمل التاج والعصا وصبب الصدر في بعض الاعياد الكبيرة من السنة مع لقب آباي .

الراهب المريض الواعي

على فراش الموت

مرضه

كابد بضع سنوات قبل وفاته آلام مرض عضال فاحتملها بصبر متسلماً في أوجاعه المبرحة لشهيد الجليحة - وفي اثناء مرضه لم تفارق الابتسامة فمزه والنكتة لسانه والقلم يده والمسبحة وكتاب الفرض يمينه - يُنشد اقوال القديس افرام للسلوى والذكرى ولتعديّة روحه الطاهرة بالصبر الجميل بين تلك الاوجاع . ولما شعر بدنو اجله كان يودع كل من دخل عليه لعيادته بكلمات عذبة يعسد السامع ويعيد نفسه بسعادة وراحة الحياة الخالدة .

وكان مثلاً عجيباً للصبر : حتى ان عوادة " من الموارنة والروم الارثوذكس كانوا يعجبون اشد العجب من صبره وتسليمه المطلق لمشيئته تعالى .

ولما اقعده المرض في فراشه كان يُحمل اليه القربان فيتناول به باخبات وورعهما الحلة الاقصى من الايمان الحلي .

وفاته

بين الآلام الشديدة في اسبوع مرضه الاخير سلام روحه الطاهرة الى الله عن رضى وعقيدة حية فقلها الله الى سمائنه في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٤٤ - فبكاه الاهل وأبناء بلدته ومعارفه وأقيم له ماتم حافل رأس صلاة الجناز سيادة المطران عبد الله خوري مستنبأً عن غبطة السيد البطريرك عريضة يعاونونه سيادة المطران

« قرأت في البشير خبر ترؤسكم على دير ماو موسى الدوار فاستبشرت بنجاح ذلك الدير » المعطر » وبانه سينهض من كبوته فأهنيكم واهني رهبان الدير بك - وهكذا كان . وترك الدير عند نهاية رئاسته ولم يضمن شي من مواسم الليمون والصنوبر والزيتون وابقى فيه من الخطة مونة كافية وبذار ونحو ٢٠٠٠ اقة دخان وكانت الاقة آنذاك تساوي اكثر من ٨٥ غرشاً » .

(١٠) رئاسة المعاملة (من تشرين الثاني ١٩٢٩ - ايلول ١٩٣٢) . وفي أول تشرين الثاني ١٩٢٩ تعين الاب المترجم رئيساً لمعاملة المتق فكان يزور اديار اقلييه ويضبط حساباتها ، ويدي الى الرئيس العام بملاحظات عليها وبسائر ما يراه ضرورياً للاصلاح والتعمير وزيادة المنتوج بكل امانة وتدقيق . فكان في رئاسته الاقلية هذه مثلاً يقتدى به ، وتركها طاهر الذيل محبوباً .

اوسحة المترجم

وقد ضمنت المترجم حياته المليئة بالجهود الادارية والتأليفية ، المشبعة بالنقى والفضل والصلاح ، محبة وتقدير اصحاب المقامات الكنسية العالية ، فأنعم عليه ببعض شارات فخريّة هي :

- ١ - وسام « محامي الكنيسة والبابا » او من اجل الكنيسة والبابا .
- ٢ - « مدايل » البابا بيوس العاشر - لمن كتبوا ضد الاضاليل العصرية .
- ٣ - وسام محامي القديس بطرس .
- ٤ - « مدايل » الحبل بلا دنس .

انعام بطريركي

ورأت السلطة البطريركية المارونية أيضاً أن تظهر عظمها وتقديرها لهذا الرجل الذي عمل طيلة حياته في حقل الرب ، فكانت لاعماله ثمار لذيذة ناضجة . لذلك شاء

تأليف الرباني يوسف حبيقة

لم يتسنّ للمترجم ان يتعلم السنين الطوال لكنه أكبر السنين الطوال على الدرس والمطالعة والتقيب همة قوية حتى اجتمع له من العلم مادة صالحة ساعدته على ان يضع مؤلفات ومترجمات ومجموعات جاءت برهاناً على جهود مشهورة ووفاء وصبر .

وقد ساعده تضلعه في اللغة السريانية على نبش بعض دفائنها واستخراج بعض الكنوز منها حتى اصبح اختصاصياً في البحوث المتعلقة بها .

واهم ما وضعه فيها قاموس يترجم مفرداتها الى العربية ، طبعه اخوه اخوراسقف حبيقة ، كما طبع له مؤلفاته جميعها - ثم قاموس آخر بـ ٥٧٠ صفحة لا يزال مخطوطاً . وديوان شعر سرياني .

وكان لمؤلفه : « الدوائر السريانية في اللهجات العامية بلبنان وسوريا ووزن وتقدير في عالم الادب . طبعه اولاً جزئين . ثم جمعها وزاد عليها ، فطبعه الالاء اليسوعيين الاجلاء - عدد ثلاثة اشهر سنة ١٩٣٩ من مجلة المشرق اكبر المجلات اللبنانية فوزعه على قرائها .

من تأليفه : غرامطيق سرياني مدرسي ، وترجمة كتاب الحمامة لابن العبري ، وترجمة سيرة مار افرام عن السريانية ، وكثير غيرها ذكرت في الفهرست الذي وضعه شقيقه لمؤلفات الاخوين ونشره بالطبع في هذا العام .

وجميع تأليفه موجودة في مكتبة شقيقه اخوراسقف حبيقة ، وفي المكتبة الشرقية للالاء اليسوعيين الافاضل في بيروت .

يوحنا الحاج رئيس اساقفة دمشق وعدد كبير من رؤساء ورهبان المائتين ومن كهنة بسكتنا والجوار . وبعد تلاوة الانجيل ورقم غبطته الى شقيقه اخوراسقف حبيقة التقى سيادة الحاج كلمة مؤثرة عدد فيها فضائل الراجحة وعلمه الواسع وتجرده ووصفه فيها « بالراهب الحقيقي » . ودفن في مدفن اخوته الرهبان في كنيسة ماري يوسف ووضعت فوق القبر بلاطة نقش عليها ترجمته .

جثمانه غير البالي

وفي الحادي عشر من تشرين الثاني ١٩٤٥ لسنة وبضعة ايام لوفاته كشف عن جثمانه باذن قدس الاب الرئيس العام بحضور حضرة الاب نعمة الله حبيقة وكييل مدرسة ماري يوسف بسكتنا وابن شقيق الفقيد : الدكتور خليل سلمان حبيقة وبعض الالهالي فاذا هي سليمة من الفساد فوضعت في تابوت نفيس لكرامتها ووضعت في التابوت ضمن زجاجة فيها كلمة عن حياته واعيدت الى المدفن باكرام .

الكلمة الاخيرة

هذه حياة رجل بار ، مجاهد ، زاهد حقيقي ، ذي ادارة مرموقة وادب كنسي مشر وبساطة حكمية ونكتة شبيهة ، ورأي موزون ، وأخلاق ناعمة ، ويجتق نقول عنه : انه صاحب الرأس الملائن والجيب الفارغة والروح المشبعة بالفضائل والحياة الطاهرة النقية ، هو المعروف « بالرجل البار والراهب الحقيقي » .

